

## ثنائية اليأس والأمل في الأعمال التعبيرية للفنان محمد صغير

## A Dual of Despair and Hope

## in The Expressive Works of The Artist Mohammed Seghir

سمير جعفاري<sup>1</sup><sup>1</sup> جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، samir.djafari.etu@univ-mosta.dz

مختبر بحث الجماليات البصرية في الممارسات الفنية الجزائرية، جامعة مستغانم

تاريخ الاستلام: 2024/07/30 تاريخ القبول: 2024/10/20 تاريخ النشر: 2024/12/26

## الملخص:

تعدّ الثنائيات الضدية من الأساليب الفنية التي أكثر فنانون النزعة التعبيرية من استعمالها في أعمالهم التشكيلية، فأغنت نصوصهم البصرية بالتوتر والإثارة، ولوّنت أعمالهم أشكالاً متنوعة من هذه الثنائيات، وما ذلك إلا نتيجة لجدلية يحملها الفنان التعبيري في تفكيره.

من هنا، تُركز الدراسة على قراءة النواة المحركة لتشكيل الفنان التعبيري الجزائري محمد صغير، انطلاقاً من ثنائية سيطرت على حياته، وتجلت بوضوح في منجزه التشكيلي، فكانت بمثابة المعين الذي يغذي إبداعه، وهي ثنائية اليأس والأمل. وسنسعى لتوضيح ذلك في بحثنا هذا، من خلال مقاربتنا لبعض النماذج التعبيرية عنده.

**الكلمات المفتاحية:** الثنائيات الضدية؛ اليأس والأمل؛ الفن التشكيلي الجزائري؛ النزعة

التعبيرية؛ محمد الصغير.

**Abstract:**

Opposite dualities are among the artistic methods that expressionist artists frequently use in their plastic works. They enrich their visual texts with tension and excitement, and various forms of these dualities that mark their works which emerge to the surface as a result of a dialectic that the Expressionist artist carries in their thinking. Based on this pattern of

thought, the study will attempt to capture the driving nucleus of the formation of the Algerian expressionist artist, Mohammed Seghir, based on a duality that dominated his life and was clearly evident in his plastic work.

It served as the source that nourished his creativity, which is the duality of despair and hope. We will seek to clarify this in our research, through our approach to some of the expressive selections of the artist Mohammed Seghir.

**Key Words:** Opposite Dualities; Despair and Hope; Algerian Plastic Art; Expressionism; Mohammed Seghir.

المؤلف المرسل: جعفاري سمير، samir.djafari.etu@univ-mosta.dz

### مقدمة:

تشكل الثنائيات في الحياة مفترقا مهما في المفاهيم الفلسفية والنقدية، يكاد لا يخلو منها أي نمط من الأنماط الحياتية كثنائيات العدم والوجود، واللفظ والمعنى، والسكون والحركة، والبنية العميقة والبنية السطحية وغيرها من الثنائيات التي لا حصر لها. ومن أبرز الثنائيات النقدية التي تم اختيارها لهذه الدراسة هي ثنائية (اليأس والأمل) قراءة نقدية فلسفية، استنادا إلى المفهوم الفكري والفلسفي، وعبر تمثيلات الأمل وما يعنيه من تواجد مادي ومعنوي أو نفسي في زمان ومكان العمل الفني، أو اليأس بما يشكله من التنقل ما بين حالتين الشعور واللاشعور في ذات الوقت أو ما يعرف بالحالة الوجدانية عند المتلقي.

فبنية العمل مستقلة في ذاتها ومقروءة بذاتها، وعليه سيوجه المسار البحثي للوصول إلى معطى إدراكي لمعنى اليأس والأمل عند الفنان محمد صغير<sup>1</sup>، والانطلاق في قراءة ما تقدمه أعماله وما لها من الخصوصية والتميز، إذ يعد العمل التشكيلي نظاما تكوينيا وخطابيا جماليا ورسالة يمكن أن تتخذ اتجاهات مختلفة اعتمادا على مصدر الإبداع وهدفه، وبالتالي فإن التعبير الإبداعي المتكون داخله ما هو إلا رسائل محملة برموز ودلالات في صياغات فنية تشكيلية لمخاطبة المبدع للآخر قصد مشاركته لحالته الوجدانية وعالمه، وإن تنتهي مسؤولية الفنان بعرض عمله، يتحول هذا الأخير إلى كيان مستقل بذاته من خلال بنائه الإبداعي. وهنا تتشكل ثنائية حوارية جديدة متكونة من العمل الفني والمتلقي بعد أن كانت

الثنائية الأولى بينه وبين مبدعه. وهذا ما سنعتمده في قراءتنا التحليلية بطرح لمشكلة البحث بالسؤال الآتي: كيف تأسست ثنائية اليأس والأمل في تجربة الفنان التشكيلي محمد صغير؟ وما هي مسوغاتها الفنية التي شكلت أفقها الجمالي؟

## 1. المقصود بمصطلحي اليأس والأمل:

نجد في لسان العرب: "اليأس: القنوط، وقيل: اليأس نقيض الرجاء، يئس من الشيء يئأس ويئس، نادر عن سيبويه، ويئس ويؤس عنه أيضاً، وهو شاذ، والمصدر اليأس واليآسة واليأس، وقد استيأس وأيأسته وإنه ليأيس ويئس ويؤوس، والجمع يؤوس<sup>2</sup>. فالمادة تدور حول القنوط، وهو عند علماء النفس: "فقدان الأمل، والإحساس بالعجز وعدم المساندة، وفقدان التعاطف من الآخر ومعه، أي الإحساس بالاغتراب النفسي والانغماس في مظاهر فقدان القيمة وفقدان الأمل، واستمواجههما لفقدان العلاقة بموضوعات الحب والاعتماد، وتظهر هذه الخصائص الانفعالية في الحالات العصابية والحالات الذهانية الحادة والمبكرة، وخاصة في حالات الاكتئاب بأنواعه المختلفة، والقلق النفسي الحاد"<sup>3</sup>.

لذا نعتبر اليأس قيذا ثقيلاً يشل صاحبه ويمنعه من التحرك بحرية والتفاعل مع الحياة من حوله، فيتركه عالقاً في مكانه، غير قادر على تغيير الواقع، إنه بمثابة الخدر الجسدي الذي يدمر كل أحلام النفس ورغباتها وتطلعاتها لأي شيء جديد ومثير في الحياة. أما الأمل، ففي معناه اللغوي، يقول ابن منظور: الأمل والأمل والإمل: الرجاء، الأخيرة عن ابن جني، والجمع آمال. وأملته أملاً وقد أمّله يأمله أملاً، المصدر عن ابن جني، وأمّله تأمّلاً، ويقال أمل خيرَه يأمله أملاً، وما أطول إملته، من الأمل أي أمّله، وإنه لطويل الإملة أي التأمّل، عن اللّخانيّ، مثل الجلسة والركبة<sup>4</sup>.

ونجده عند علماء النفس يعرف أنه: "اتجاه أو ميل عاطفي، يتضاد مع اليأس أو القنوط، وهو ما يعتبره البعض عاطفة مشتقة، تقوم على الرغبة في تحقيق هدف بعينه، مع وجود درجة من اليقين بأن هذه الرغبة ستجد سبيلها للتحقق، مما يضيفي على الواقع أفقاً من المتعة التي يبعثها الأمل"<sup>5</sup>. فالأمل هو الرغبة في الحيوية والحركة والحياة وتطلع إلى المستقبل،

وعدم استجابة للهواجس السلبية، يحقق سكونية وطمأنينة في النفس، وانشراحاً في الصدر، يدعم الرغبة في الإقبال على الحياة، والتفاعل الحقيقي مع أحداثها.

## 2. مفهوم اليأس والأمل كثنائية ضدية:

يعتبر مفهوم اليأس والأمل " ثنائية ضدية لحالة إنسانية صعبة جداً، والتأرجح بينهما يتطلب حلاً لأنه يعكس صراعاً داخلياً يجعل الإنسان متوترًا، ويضعه في حالة من البحث عن التوازن الضروري لحياة أفضل تتسم براحة بال ما يستطيع إليها سبيلاً. يحدث أن يستسلم الإنسان كي يصل لحالة من النقبل والشعور بالسلام كي يتعايش مع كل هذه المشاعر، ويحدث أن يهرب من الألم إلى حالة جيدة وربما تكون متخيلة"<sup>6</sup>.

والجدير بالذكر أنه لا يمكن للحياة أن تستقيم دون ثنائية اليأس والأمل، فهما يشكلان وجهين لعملة واحدة، فلا يمكن تواجد أحدهما بغياب الآخر، "حيث إن اليأس والحزن مرتبطان مع الحياة التي لا تنفصل عن الأمل، إذ لا يأس مع الحياة وهذا هو المنطق الذي تقبله الفطرة السوية"<sup>7</sup>.

## 3. ثنائية اليأس والأمل منطلقاً تعبيرياً في تجربة الفنان محمد صغير:

لقد تجسّد مفهوم ثنائية اليأس والأمل في تشكيل الفنان محمد صغير وفق ثنائية الخير والشر، وعلاقة ذلك بتعاسته وسعادته في حياته، وبما أنّ هاته الثنائية ليست محدودة بمعانيها الدالة في مدركات العقل البشري للقارئ، فإنها تبدو له كمبدأ يحكم سلوكيات الفنان من خلال طبيعتها المركبة التي تتجاوز الحصر، إذ لا وجود للأمل من غير اليأس في لوحاته، فلا سعادة من غير شقاء، ولا فرح من غير حزن، والأمل باعتباره مبدأ لحالة انفعالية خاصة، فإنها تمتزج بكل ما من شأنه أن يدخل الرضا إلى قلب المرء من مشاعر وعواطف وأوهام.

### 1.3. الحزن والفرح:

تجلت مظاهر اليأس عند الفنان صغير من خلال جوانب عاطفية عدّة كالحزن وألم الفراق والموت، التي جعلته يعيش في عزلة تملؤها مشاعر التشاؤم والخوف والقلق والشعور باستعباد الذات والاختلاف مع الأنا والآخر. ولو تأملنا لوحة *مواساة* Condoléance، فإننا نجد الفنان يجسّد ذاته في وضع عاطفي يحاول من خلاله التخفيف من حزن والدته التي عانت من هجر زوجها ووفاة أمها، فنجده يصور نفسه في وضع مواسٍ لها، حيث يستعير لرحيل والده صورته المعلقة في الجانب العلوي الأيسر للوحة، ووفاة جدته من خلال مراسم جنازتها التي تبدو جلية من تلك النافذة القابعة فوق هاماتهم في الجانب العلوي من اللوحة.

الشكل: 1



مواساة، باستيل + غواش على ورق مقوى، (53×36.5سم)، 1984، مجموعة خاصة.  
المصدر: السيد بشير بن عطية<sup>8</sup>، تصوير فوتوغرافي شخصي.

لقد كان الفنان صغير يتجهم تجهم اليأس الحزين، ثم لا يلبث أن يثور على اليأس ويتحدى الألم بالأمل، والمتأمل في اللوحة يدرك أن قلبه يعجُّ بعواطف الإنسانية، ويفيض إحساسه بمشاعر الإنسان فيظهر راضيا عن الحياة، مُقبلا عليها وبذلك يرسم أعمالاً تعبر عن الحب والتفاؤل وحب الخير للناس، ثم لا يلبث أن يسخط على الحياة ويدبر عنها ويظهر سخطه عليها وشكه في كثير من أمورها، وإذا ما عبر عنها في أعماله انفجر عن أنانية وحقد وشك وحيرة. وقد يدل هذا على أنّ الفنان ذو نفسية مزدوجة إذ يبدو فرحا حزينا في آن واحد،

وأنه يتأرجح بين الشك واليقين واليأس والأمل، وبين العزلة والانتماء، وبين العبوس والابتسام وبين التقاتل والتشاؤم.

فالفنان قبل كل شيء إنسان يحس الآخرون فينفعل كما يفعلون ويميل مع نفسه كما يميلون، ويشقى كما يشقون، بالتالي هناك لحظات فرح وسرور وأخرى حزن وحية. فكل إنسان يمر بهزات عاطفية أو ظروف قاسية تثير في نفسه الحزن إلى الحيرة والوجوم فيصيب النفس الشك وتعترىها الحيرة فيكون التشاؤم عنواناً لذلك، ولن يغادر كل ذلك النفس حتى يغمرها بالأنانية أحياناً وبالحد أحياناً أخرى. ولذا لا يمكن اعتبار حياة صغير كلها سعادة وهناء، ولكنها كانت حياة متأرجحة بين السعادة حيناً والشقاء حيناً آخر، وقد يكون للشقاء الكفة الراجحة في حياته.

لكن ذلك لم يمنعه من التعبير عن إحساس الفرح والسعادة من خلال عدّة لوحات جسد فيها موضوع ألعاب عروض الفانتازيا<sup>9</sup>، مثل لوحة **فانتازيا في الجنوب** Fantasia in The South، والرقص الشعبي كلوحة **فتاتان راقصتان** Two Girls Dancing، من خلال أشكال بسيطة وألوان أقرب ما تكون لألوان الأطفال والفطرية في التعبير عن الموضوع المراد رسمه واختفاء الخط بشكل شبه كامل.

## الشكل: 2



2- فانتازيا في الجنوب، زيت على قماش، (46.5×68.4سم)، 1988، مجموعة خاصة.

## الشكل: 3



3- فتاتان راقصتان، باستيل + غواش على ورق مقوى، (21.5×32سم)، ب ت، مجموعة خاصة.

المصدر (2-3): السيد بشير بن عطية، تصوير فوتوغرافي شخصي

### 2.3. الموت والحياة:

تعد مشكلة الموت هي مشكلة الأنا والذات القلقة، فقد سيطرت فكرة الموت على مشاعر الفنان صغير منذ وفاة جدته التي كانت تشكل له السند العاطفي والنفسي بعد حادثة انفصال والديه، مما سبب له استسلاماً لعذاب نفسي وإحساساً بالسامة والملل من الحياة. وهذا الشعور بالكآبة والسامة كثيراً ما لمسناه عند الفنان في لوحاته التعبيرية، فنجدّه يعبر عنه من خلال لوحة امرأة مريضة Sick Woman، حيث ينقل إلينا الشعور المؤلم بالموت الذي يُحوّل ذهنه من حال الأمل في الحياة إلى حال الشقاء، وهو بذلك يعطينا تصوراً واضحاً عن مدى قلقه وخوفه، ذلك القلق الظاهر في أعماله من خلال الشكل واللون. والذي يبدو جلياً في لوحات الطبيعة الصامتة مثل لوحة موت الأزهار Death of Flowers، والتي حملت اللون الأسود المنفذ بمادة القطران<sup>10</sup> والمعروف بقتامة لونه ومرارة ذوقه، دلالةً على مرارة ما كان يشعر به من ألم.

#### الشكل: 5



#### الشكل: 4



4- امرأة مريضة، غواش+باستيل+قطران على ورق، (36×22.5سم)، ب. ت.

5- موت الأزهار، غواش + قطران على ورق، (22.3×18.5سم)، 1992.

المصدر (4-5): السيد بشير بن عطية، تصوير فوتوغرافي شخصي.

إن إدراك الفنان صغير لحتمية الموت واستحالة البقاء، هو ما جعله يتخذ من الأمل الغابرة الماضية أمثلة حية وشواهد ناطقة، تنبئ عن عجز تلك الأمم عن ضمانها البقاء

الأبدى، وتحاشي الفناء الذي لا يقاوم، وهذا التذكير بالغابرين في لوحات: **الفراعنة**، **أبو الهول** Sphinx، Pharaons - التي تكررت مشاهدتها - فقد كان بدافع التسوية لألم الخوف الذي يستولي على الفنان حيال الموت وسطوته، علّه يخفف من وطأة الصدمة التي باتت تؤرقه، فكانت بذلك لذته.

وهذا الأمر يمكن أن يعلل لنا تلك النظرات الفلسفية الهائلة التي مثلتها أعمال الفنانين التعبيريين في فترة الحرب العالمية وما تولد منها من آلام، فهم كانوا يعيشون صراعا نفسيا يدور في خلد (الفنان صغير) بين اللذة التي يبتغونها من الحياة، وبين الموت الذي جاء هادماً لتلك اللذة. "ففي كثير من الحالات يعد الفن بمثابة الشاهد، والسجل، والمرآة العاكسة للعنف والحرب. والفنانون الأوروبيون نقلوا في القرن العشرين، على وجه التحديد، ابتداءً من الحروب العالمية، الألم والخوف وهلع الإنسان أمام الحرب التي تمثل نهاية للحضارة الإنسانية. ولقد قام عدد من الفنانين أمثال **أوتو ديكس**، و**ماكس بيكمان**، و**بابلو بيكاسو**، و**مارك شاغال**، و**جورج جروسز**، و**لودفيغ ميدينير**، بتجسيد مشاعر الخوف والانتقام والألم والخسارة والمأساة التي خلفتها الحروب في أغلب أعمالهم الفنية"<sup>11</sup>. وتعد لوحة **ثلاثية الحرب** للفنان **أوتو ديكس** Otto Dix (1891-1969)، ولوحة **الإنفجار** للفنان **ماكس بيكمان**<sup>12</sup> Max Beckmann (1884-1950) خير مثال على تلك المشاعر، حيث تعكس بعمق أهوال الحرب وتأثيرها المدمر على الإنسان والمجتمع.

فهذا المشترك النفسي للموت وألمه ما بين الفنانين، والذي جسّده التعبيريون في أعمالهم، منح الفنان لذة قلّصت من همومه، في أن الحياة فانية بمتعها، لذة تعينه في التخفيف من وطأة معاناته من فاجعة الموت.

الشكل:6



الشكل: 7



6-أبو الهول 1، غواش+ باستيل على ورق، (37×28.3سم)، 2004

7-أبو الهول 2، غواش+ باستيل على ورق، (24×16.5سم)، 2004.

المصدر(6-7): السيد بشير بن عطية، تصوير فوتوغرافي شخصي.

وانطلاقاً من هذه الاعتبارات، يلجأ الفنان **صغير** إلى فلسفة (اللذة العبثية)، القائمة على التطلع إلى الحياة، والتمتع بملذاتها من رقص وأفراح، فضلاً عن أي لذة تقف نقيضاً لألم الموت، ولا تخالف الأعراف والقيم المجتمعية، كردة فعل طبيعية تشعره بالانتصار على ألم الموت. وما نلمحه في اللوحات التي تناول فيها الرقص والأفراح لخير دليل على ذلك، إذ تتميز لوحة **رقصة الأحزان** The Dance of Sorrows، التي قام بتنفيذها سنوات التسعينيات، مستغنياً عن الألوان ومكتفياً باللون المونوكرومي<sup>13</sup> البني القاتم المستخلص من مادة القطران على مساحات بيضاء، تعبيراً منه عن تشبث شعبه بالحياة، على الرغم من قهر الموت الذي تقشى بشكل شبه يومي بسبب فتنة العشرية السوداء. وقد اعتمد الفنان **صغير** على أسلوب التلوين المونوكرومي للوحة الفنية في أعمال دراماتيكية عديدة، لأنه يدرك أنّ هذا الأسلوب "يعد من المفاهيم الفكرية التي تعمل على خلق وحدات تختزل كل الوقائع إلى ذلك التضاد الدرامي القديم الواقع بين النور والظلام، ويعطي تعبيراً عن الدلالات التلقائية بين تقابل قوى

الخير وقوى الشر، فيتمكن الفنان من خلاله عرض عالم أقل مادية، وأقرب ما يكون إلى التمثيل البصري للأفكار<sup>14</sup>.

الشكل: 8



الشكل: 7



- 7-رقصة الأحران 1، قطران + فحم على ورق مقوى، (32×21سم)، 1992، مجموعة خاصة.  
8- رقصة الأحران 2، قطران + فحم على ورق مقوى، (33×21.5سم)، 1992، مجموعة خاصة.  
المصدر (7-8): السيد بشير بن عطية، تصوير فوتوغرافي شخصي.

إنّ هدف صغير من وراء لوحة زهور عباد الشمس Sunflower Flowers الحية بألوانها الصفراء البراقة بعد ذبولها وموتها سابقا، ومعها أشجار السرو المتراسة كالمسلات في لوحة أشجار السرو Cypress Trees، هو إعادة إحياء لأمل يشع تعبيرا عن عظمة الطبيعة وخلودها وأثرها، وهو شيء ربما كان يستمد منه العزاء في لحظات يأسه، كما استمدته من قبله فان غوخ، حيث "كانت هذه الزهرة رمزًا لمراحل الحياة، على الرغم من أنها تتفتح عندما تلقي الشمس عليها أشعتها، فهي تذبل بأناقة وجمال أيضًا. كان فان غوخ يختبر الألوان وهو يبتكر ذلك الأصفر الأقرب إلى الضوء، فجعلها وكأنها مصدره الوحيد للأمان، وقال مرة عنها إنها تعني له الامتنان<sup>15</sup>.

الشكل: 9



الشكل: 10



الشكل: 11



- 9- أشجار السرو، باستيل + غواش على ورق مقوى، (39×42سم)، 1984، مجموعة خاصة.  
10- طبيعة صامتة- زهور عباد الشمس، زيت على قماش، (21×32سم)، 2002، مجموعة خاصة.  
المصدر (9-10): السيد بشير بن عطية، تصوير فوتوغرافي شخصي.  
11- فنسنت فان غوخ، دوار الشمس، زيت على القماش، (83×95سم)، 1889، متحف فان غوخ.  
المصدر:

<http://www.nationalgallery.org.uk/paintings/vincent-van-gogh-sunflowers/50136>

### 3.3. الاستعباد والحرية:

من العوامل الأخرى التي دفعت الفنان صغير نحو اليأس هو الاعتقاد باستعباد<sup>16</sup> الذات وأنه مجبور على ما يصدر منه وليس له خيار الإرادة، وهذا ما جعله يشعر بأنه محكوم ومقيّد، بل دفعه ذلك نحو غياهب الضجر والسأم من الدنيا.

يُصور الفنان ذاته المستعبدة من كوابيس الماضي الأليمة بصورة التابع القابع فوق قدرته على الشعور والإحساس بالفرح والحرية، مما يجعله في وضع غير قادر على الحركة ومواجهة هاته الكوابيس. ولو تأملنا لوحة فرسان سود وأحصنة بيضاء Black Knights and White Horses، لوجدنا أن الفنان يحاول التعبير من خلال صورة الفرسان باللون الأسود عن قيم التشاؤم التي تسيطر عليه وتجعله في موضع اتهام للإنسان: فتوظيف اللون الأسود بتلك الكثافة جعلت ملامح شخوصه تختفي تمامًا، إلا أننا نجده يُبقي على الهيئة الدالة عليهم، في

كتل بشرية مسيطرة على تلك الخيول باللون الأبيض الدال على تلك الحرية المسلوبة التي ينشدها في بعض اللوحات الأخرى. إنه يعبر عن سلبها من خلال تلك النظرة الحادة للفرس في المستوى الأول، إنها النظرة الساخطة إلى فضائل المسيطر (القوي)، ذلك ما يجعلها تشعر بالشك والارتباب المرهف اتجاهه. لقد وظف **صغير** قيم التضاد اللوني بين قيم الأبيض والأسود في محيط من الألوان الحارة والباردة المتمثلة في اللون البرتقالي المحمر والأزرق المدعوم بنسب من الأزرق المخضر بدرجات متفاوتة، زادت من حدة المشهد الدرامي.

## الشكل: 12



فرسان سود وأحصنة بيضاء باستيل+غواش على ورق (27 × 22سم)، 2005.  
المصدر: السيد بشير بن عطية، تصوير فوتوغرافي شخصي.

يستعير الفنان **صغير** في لوحة الأسير The Prisoner صورة الرجل الصارخ في لوحة الصرخة The Scream للفنان النرويجي إدوارد مونش<sup>17</sup> (1863-1944) Edvard Munch، حيث يصور العمل أسيراً يطل من نافذة سجنه، ويستحضر وجه السجين صرخة مكتوبة اختزنها صبرا على معاناته، وكأنما أراد أن يخبرنا عن مدى وحشة المكان وسكونه، وذلك من خلال تصعيده للجانب الروحي المضطرب المحفز بروحية تكشف عن حالات قلق أو خوف وحزن، ويحاول الفنان من خلال تصوير مشاعر اليأس الذي يكبح زمام الحرية للأسير الوصول لتقديم مفهوم تعبيرى على فهم عصره وتجاوز محنته التي شكلت له قيوداً

في التواصل مع رغباته، وخطفت من حياته كل ما هو جميل، وذلك هو السبيل للحفاظ على إنسانيته وقيمه حيث يصبح للفن قدرة بالغة على تشخيص الجوانب السلبية في المجتمع ويشير إلى أساليب تعديلها وتجاوزها.

الشكل:13



الشكل:14



13- الأسير، أكريليك + مواد مختلطة، (27×18.5سم)، ب ت.

المصدر(13): السيد بشير بن عطية. تصوير فوتوغرافي شخصي.

14-الصرخة، زيت على قماش، (91×73.5سم)، 1893. المعرض الوطني أوسلو

المصدر(14):<https://ar.wikipedia.org>.

إنَّ سطوة اليأس جعلت من ذات صغير ذاتاً غير قادرة على الوصول إلى حريتها المسلوبة، لكنه في الأخير يمنحها أملاً في التغلب على تلك السطوة، فنجدته يتغنى في لوحة حرية الفرس الأسود Freedom of The Black Horse عن انتصار الأمل واسترجاع حريته؛ تلك الحرية التي طالما ناشدها من خلال ثيماته العديدة التي استعارها لذاته، وكانت تعني في رؤيته توظيفاً لمعطيات الواقع الحسي للتعبير عن دواخل ذاته، إلّا أننا نجدتها تدفعه كذلك إلى تجاوز التفاصيل الجزئية للمشهد، ولأنَّ الفنان يميل ميلاً شديداً إلى تقوية فعل الصدمة التي يثيرها جو اللوحة، فإنَّ الخطوط خرجت موحية بالانفعال الذي يحشد فعل التعبير، بشكل حركة موجية ظاهرة أحالت سكونية المشهد الأرضي إلى حركة لا متناهية من خلال حركة فرشاته التي عملت على دمج وتعاشق الأرض والسماء بتكوين موحّد، إذ إن الحرية الذاتية التي اشتغل عليها الفنان هي حرية سيكولوجية، لأنها مشبعة بانفعال نفسي مؤثر،

أطلقها للتعبير عن هواجس ومخاوف مطلقة أو مجهولة. ومن خلال التركيز على المتضادات اللونية التي أحدثها الفنان تماشياً مع الرؤية التعبيرية التي ترى في نقل حدة التوتر والأحاسيس والتعبير عنها من خلال البساطة واللون المشبع بذاتية حرة ومنفتحة، فالحصان إن بقي مكبوتاً أو تم تشويبه من خلال اللون الأسود الكثيف والشكل الحاد بوصفه وحدة - هي بمعنى آخر، ذات الفنان نفسه، ومحاولة الانطلاق إلى ما هو خارج حدود الجسد - المادة الحسية.

### الشكل: 15



حرية الحصان الأسود (تفصيل من اللوحة)، باستيل+غواش على ورق (37 × 23سم)، 2005. المصدر: السيد بشير بن عطية. تصوير فوتوغرافي شخصي.

من هنا، يستعير الفنان صغير حريته الفردية من خلال التلاعب الحر بالمضامين التي تطال الأشكال كذلك، وبخاصة التغيرات والاضطراب الذي أحدثه في البيئة الإنشائية للوحة، فالخطوط التي تشكل منظوراً مضطرباً لا تحدّه نقطة - لأنه ينتمي إلى اللامتناهي مكانياً - يشترك مع مجموعة من الخطوط اللولبية التي تُحيل الفضاء إلى زمان متحرك ممتد وكأن الخطاب الفني مرسوم بدافعية مضيقاً عليها المزيد من طاقة التعبير. أما الجانب الحلمى للمشهد، فإنه يحطم أيقونة الأشكال الأرضية أو الإنسانية، ويحيلها إلى حلم مفزع للغاية، والغاية التي يهدف إليها الفنان في هذا العمل، هي الكشف عن حريته المسلوقة، والتي هي في نظره ضرورة روحية، من شأنها تحويل المشهد الطبيعي إلى ذريعة لنقل

الإحساسات الدفينة والمشاعر القلقة، بحيث تتحول هذه المشاعر بفعل الرسم إلى ما هو خارج وجودها الطبيعي، فالقيم اللونية المدمجة بين السماء والأرض، كشفت عن حرية أداء تلقائية للأشكال التي نُفِذَتْ دون تخطيط مُسبق، أو تحديد وتجسيم لهيئتها، فغدت جزءاً لا يتجزأ من الإيقاع الدرامي للجو التعبيري الكوني والشمولي العام، والذي يتسامى من ضرورات الزمان والمكان .

### 4.3. التشاؤم والتفاؤل:

بما أنّ الألوان تعد من أبرز مظاهر التعبير في التشكيل البصري التعبيري، فقد شغلت مكاناً عالياً في لوحات صغير، ونجد أنّ لكل لون دلالة جمالية وإيحائية خاص، فلو تأملنا لون الطفل في لوحة **مصير مشئوم** لأدركنا حقاً قوة الشعور بالتشاؤم، فهو يركز نظر الأشخاص حول هذا الطفل الذي يبدو كهية بشرية ذات شكل مصطبغ بلون أسود كثيف، وكأنما يريد أن ينقل لنا ذلك الإحساس المشئوم بمصيره المستقبلي عقب ما عايشه في صغره. إلا أنه يعود مرة أخرى ليفتح نافذة الأمل من خلال التفاؤل، ففي لوحة **سفينة في وسط الموج** A Ship in The Middle of The Waves، يبقى الفنان صغير على ثبات السفينة رغم محاصرتها من طرف الأمواج العاتية ذات اللون الأخضر الملكي المسود في مشهد لوني داكن مخيف ومقلق، ويعطينا ذلك الأمل من خلال تلك اللمسة البيضاء البسيطة في شراعها والذي يجسد قيم التفاؤل في مصيرها.

الشكل: 16



الشكل: 17



16- مصير مشنوم، باستيل+ غواش وقطران على ورق مقوى، (22.2×22.2سم)، 2005، مجموعة خاصة.

17- سفينة في وسط الموج، باستيل+ غواش وقطران على ورق، (29.6×21سم)، 2005، مجموعة خاصة.

المصدر (16-17): السيد بشير بن عطية. تصوير فوتوغرافي شخصي.

وعند معاينة لوحات البورتريه عند الفنان صغير، نجد بعضها يجسد بكل وضوح تشاؤمه من الحياة، ومن بعض تلك الأعمال لوحة الأرملة The Widow، حيث يمثل هذا العمل تلك الخشونة المتعمدة والألوان الجريئة والعنيفة، ورفض قاطع لتلك الإملاءات المعاصرة التي تطالب بالنقل الحرفي عن الطبيعة، فنجد الفنان قد تعمد التشويه الظاهر بقوة في قسّمات الوجه، كما وظف تلك الألوان الكئيبة الدالة على تشاؤمه تجاه الحياة، وكل ذلك بقصد الإفصاح عن قدر كبير من التعبير العاطفي. وعلى الرغم من كل هذه الكآبة والقنطرة إلا أننا نجده يوظف -في منحنى آخر- تلك الألوان الدالة على تفاؤله وشغفه بالحياة، كما هو جلي في لوحة بورتريه فتاة Portrait of a Girl، التي يعبر من خلال عينيها الزرقاوين والخلفية الخضراء عن أمله في حياة أفضل، وهي عمل فني فريد أراد من خلاله الفنان صغير أن يمنح نوعاً من السكينة الذاتية والتفاؤل في تعبيريته من خلال الشكل الثابت وذلك التكامل اللوني بين قيم الأحمر والأخضر.

الشكل: 19



الشكل: 18



18- الأرملة، باستيل + غواش على ورق مصقول، (30.4×23.8سم)، 2005، مجموعة خاصة.

19- بورتريه فتاة، باستيل + غواش + ورق جرائد على ورق مقوى، (32×22سم)، 2005، مجموعة خاصة.

المصدر (18-19): السيد بشير بن عطية، تصوير فوتوغرافي شخصي.

## خاتمة:

تعتبر الثنائيات بمثابة العنصر الأساس في عملية الإبداع التشكيلي عند الفنان محمد صغير، الذي يسعى لأن تكون أعماله تعبيرًا واضحًا عن أفكاره ومشاعره وتأملاته، وفق آلية تعكس قدرته التعبيرية كما تعكس يأسه وأمله في الحياة. ومن الواضح أن ثنائية اليأس والأمل في تشكيله لم تنشأ من فراغ، ولا اعتباطًا، فهي لم تأت بفعل الذائقة الفردية للفنان بوصفه إنسانًا عاديًا، وإنما ظهرت تلك الثنائية مبنوثة في منجزه التشكيلي نتيجة موقف فكري تجاه الإنسان والكون والحياة، صاغها بقابليته ومقدرته التشكيلية والفكرية، فتولدت أنساقا فكرية متنوعة تكتنفها التضادات التي تحمل سمة من سمات الحزن-الفرح، والموت-الحياة، والاستعباد-الحرية، والتقاؤل - التشاؤم.

وما اكتشفناه في هذه الدراسة أن هاته الثنائية قد أثرت بوضوح في البنية الفنية التشكيلية عند الفنان صغير، فجاءت الأشكال والألوان في أعماله متشحة بوشاحي اليأس

تارة والأمل تارة أخرى، مرخية لهما زمامها، حيث تتقل صدى لقلقه وتشاؤمه، ومعاناته الوجدانية، كما تتقل في المقابل تقاؤله ودبيب الأمل في روحه، وجاءت الصورة سوداوية مظلمة حيناً، ومشرقة مبهجة حيناً آخر، تمدّها عواطف متنوعة، اقتضاها الموضوع، وتطلبها المقام.

## الهوامش:

1. الفنان **محمد صغير** تشكيلي جزائري مخضرم، ولد بمدينة مراكش المغربية في الخامس عشر من شهر نوفمبر عام 1927م، عاش وترعرع بها، ونهل من جمالها وتأثر بألوانها الدافئة، التي لازمته في أعماله حتى وفاته سنة 2006م. شرع الفنان **محمد صغير** عصامياً في فن الرسم ابتداءً من سنة 1954م، وراح يعبر عن نضاله الثوري من أجل تحرير الجزائر من خلال أعماله الفنية ذات الطابع التعبيري، بمزج الألوان والأشكال دون أن يميز أين تبدأ إحداها وتنتهي الأخرى. وقد شارك الفنان في عدّة معارض فنية نظمت بدولة المغرب، حيث تحصل على الجائزة الأولى لمدينة مراكش سنة 1964م، وفي السنة نفسها نال جائزة **فيدجي** المغربية بالدار البيضاء.

دخل الفنان **صغير** إلى الجزائر سنة 1967م واستقر بالعاصمة، وفيها انضم للاتحاد الوطني للفنون التشكيلية UNAP، وشارك في عدّة معارض دولية منها: باريس، مونتريال، طوكيو، موسكو، هافانا، بلغراد، براغ، فرسوفيا، وحتى برلين؛ كما نال الجائزة الكبرى لمدينة الجزائر مرتين سنتي 1968 م و1971م.

2. ابن منظور، لسان العرب (مادة: يئس)، دار صادر، بيروت، ط.3، 1414هـ.

3. عبد القادر فرج طه وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 2019، ص. 487.

4. ابن منظور، لسان العرب، مادة: أمل.

5. عبد القادر فرج طه وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، مرجع سابق، ص. 62.

6. طنوس، نبيل عوض، الألم والأمل وما بينهما عند سميح القاسم، الأحد 9 تشرين الأول (أكتوبر)

2022، اطلع عليه بتاريخ 2023/06/14 <https://www.diwanalarab.com>

7. جميلة شيش، ثنائية الألم والأمل في شعر المعتمد بن عباد، مجلة اللغة العربية (الجزائر، المجلس الأعلى للغة العربية)، المجلد: 23، العدد: 2، 2021/06/30، ص. 385.

<https://asjp.cerist.dz/en/article/161263>

8. بشير بن عطية فنان تشكيلي عصامي، صاحب دار المغرب للمقتنيات الفنية القديمة والديكور بمدينة الأغواط (الجزائر). صهر الفنان محمد صغير والوكيل الرسمي لأعماله الفنية محل دراستنا.
9. الفانتازيا: وتسمى أيضا "العلفة والتبورية" وأصحاب البارود" لكونها أشبه بالعروض العسكرية، تمارس في الجزائر، في مختلف مناطقها، العربية والأمازيغية والصحراوية في جو بهيج يملؤه أهازيج الاحتفالات. <https://ar.wikipedia.org/wiki>
10. القَطْران: ويسمى أيضًا القار الأسود، من مجموعة السوائل الزيتية الكثيفة ذات اللون البني الداكن أو الأسود. ومعظم أنواع القطران من المنتجات الثانوية التي يتم الحصول عليها بتحويل المادة العضوية مثل الفحم الحجري أو النفط أو الخشب إلى منتجات صناعية مفيدة. [https://mawsoati.com/new/190610\\_0.htm](https://mawsoati.com/new/190610_0.htm)
11. يوسف يلدا، فن تصوير الحرب، الأربعاء 02 نوفمبر 2011، اطلع عليه بتاريخ 14 جوان 2022. <https://elaph.com/Web/Culture/2011/9/686311.html>
12. ماكس بيكمان رسام وخطاط ونحات وكاتب ألماني، بالرغم من أنه مصنف كفنان تعبيرى، فقد رفض كلا من المصطلح والحركة في عشرينيات القرن العشرين، ارتبط بالموضوعية الجديدة، وهي ثمرة من التعبيرية التي عارضت انفعالياتها الانطوائية
13. هو نظام ألوان يستند إلى لون واحد فقط، ويستخدم فقط الاختلافات - الظلال - من لون واحد، التي أدلى بها عن طريق تغيير التشبع وسطوع اللون الأساسي من خلال إضافة اللون الأبيض، وإضافة اللون الأسود لأنه ألمع الألوان الداكنة. [https://web.archive.org/web/20180324203238/http://www.paletton.com/wiki/index.php?title=Monochromatic\\_color\\_scheme](https://web.archive.org/web/20180324203238/http://www.paletton.com/wiki/index.php?title=Monochromatic_color_scheme)
14. محمد جابر حجاج أحمد، البعد الفلسفي للاختزال الشكلي واللوني في التصوير، مجلة جامعة جنوب الوادي الدولية للعلوم التربوية (مصر، جامعة جنوب الوادي، كلية التربية النوعية)، العدد الثامن، يونيو 2022، ص. 255. [https://musi.journals.ekb.eg/article\\_244593\\_af31235621d8260b2fcb8574b9e05558.pdf](https://musi.journals.ekb.eg/article_244593_af31235621d8260b2fcb8574b9e05558.pdf)
15. عبد العال تغريد، أسماك ماتيس وزهور فان غوخ: أشياء تكررت في اللوحات، 03 ديسمبر 2011، اطلع عليه بتاريخ 20 سبتمبر 2023. <https://diffah.alaraby.co.uk>
16. استعباد الذات هو مصطلح يشير إلى حالة نفسية يصبح فيها الفرد أسيراً لأفكاره وسلوكياته السلبية، ويصبح عاجزاً عن التحرر منها أو تغييرها.
17. إدوارد مونك أو إدوارد مونش (Edvard Munch): 12 ديسمبر 1863 - 23 يناير 1944م، كان رساما تعبيريا وطباعا نرويجيا. ويعد الفنان النرويجي إدوارد مونش أحد أهم فناني الحداثة. جرب بجرأة

في مجالات الرسم والرسومات والنحت والتصوير الفوتوغرافي وأصبح رائدًا في الفن التعبيري منذ أوائل القرن العشرين. <https://ar.wikipedia.org/wiki>

## قائمة المراجع:

### المعاجم العربية:

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط.3، 1414هـ.
- طه فرج عبد القادر وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، بيروت، دار النهضة العربية، ط.1، 2019.

### الدوريات العربية:

- أحمد جابر محمد حجاج، البعد الفلسفي للاختزال الشكلي واللوني في التصوير، مجلة جامعة جنوب الوادي الدولية للعلوم التربوية (مصر، جامعة جنوب الوادي، كلية التربية النوعية)، العدد الثامن، يونيو 2022، صص.292-237.

<https://doi.org/10.21608/MUSI.2022.121687>.

- سيش جميلة، مجلة اللغة العربية (الجزائر، المجلس الأعلى للغة العربية)، ثنائية الأمل والأمل في شعر المعتمد بن عباد، المجلد:23، العدد:2، 2021/06/30، صص.392-369.
- <https://asjp.cerist.dz/en/article/161263>

### النصوص الإلكترونية:

- طنوس نبيل عوض، الأمل والأمل وما بينهما عند سميح القاسم، الأحد 9 تشرين الأول (أكتوبر) 2022. <https://www.diwanalarab.com>
- عبد العال تغريد، أسماك ماتيس وزهور فان غوخ: أشياء تكررت في اللوحات، 03 ديسمبر 2011، اطلع عليه بتاريخ 20 سبتمبر 2023. <https://diffah.alaraby.co.uk>
- يلدا يوسف، فن تصوير الحرب، الأربعاء 02 نوفمبر 2011، اطلع عليه بتاريخ 14 جوان 2022. <https://elaph.com/Web/Culture>

## **Bibliography:**

### **Dictionary:**

- Taha Faraj Abdelkader, and others, Dictionary of Psychology and Psychoanalysis, Beirut, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, 1st edition, 2019. (In Arabic)
- Ibn Manzur, Lisan Al-Arab, Beirut, Dar Sader, 3<sup>rd</sup> Edition, 1414 AH. (In Arabic)

### **Periodical:**

- Ahmed Muhammad Jaber Hadjaj, The Philosophical Dimension of Shape and Color Reductivism in Painting, SVU- International Journal of Educational Sciences, Faculty of Specific Education - South Valley University, N°8, June 2022, PP.237-260. (In Arabic)  
[https://doi.org/ 10.21608/MUSI.2022.121687](https://doi.org/10.21608/MUSI.2022.121687).
- Sish Djamila, Arabic Language Journal (Algeria, Supreme Council for The Arabic Language), The duality of Pain and Hope in the Poetry of Al-Mu'tamid Ibn Abbad, Vol. 23, N° 2, 30/06/2021. (In Arabic)  
<https://asjp.cerist.dz/en/article/161263>

### **Websites:**

- Abdel Aal Taghreed, Matisse's Fish and Van Gogh's Flowers: Things Repeated in Paintings, December 3, 2011, T.I. September 20, 2023. (In Arabic)  
<https://diffah.alaraby.co.uk>
- Tannous Nabil Awad, Pain, hope, and what is between them according to Samih Al-Qasim, Sunday, October 9, 2022. (In Arabic)  
<https://www.diwanalarab.com>,
- Yalda, Youssef, The Art of War Photography, Wednesday, November 2, 2011, T.I. June 14, 2022. (In Arabic)  
<https://elaph.com/Web/Culture>